من ضروب
الأدب الوصفيّ في نهج البلاغة

Forms of descriptive literature

in Nahj Al- Balagha

أ. م. د. علي هاشم جاسم الأسديّ

كليّة الشهيد مطهري للإلهيات والمعارف الإسلاميّة

جامعة فردوسي مشهد

Dr. Ali Al- Asadi

Martyr Matahri College of Islamic theology and knowledge

University of Ferdosi/ Mashhad

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة الأدب الوصفيّ الحِكَميّ والتسجيليّ و البيانيّ المفاهيميّ في نهج البلاغة . ويستبين شأنها من مبدعها الذي صرّح في كلام له قائلاً: «إنّا لَأُمراءُ الكلام وفينا تنشّبت عروقه، وعلينا تهدّلت غصونه» . و هو الذي قال له النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث له بعد هبوط الوحي: «إنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى» .

وحسبُ الدراسة آيةً بيّنةً على عظمة المُنشئ وسموّ مقامه. وكذلك على حظّ الموسومين في الأقسام المذكورة من الأدب الوصفيّ وغيرها . وأُسلوب الإمام عليه السلام في وصف الأشخاص والأشياء هو الأسلوب الوصفيّ الحقّ حقّاً. وهو عنصر مهمّ من عناصر النظرة التقويميّة في الحياة، التي تدلّ على اهتمام خاصّ بما يجري، وعلى تفاعل مؤثّر تستقيم به الحياة. وهذا الأُسلوب الوصفيّ في النهج ليس لذاته ولا للاحتراف ولا للمتعة الشخصيّة أو الترف الأدبيّ، بل هو أُسلوب رساليّ هادف معطاء لخدمة الدين والعلم والأمّة والقيم السليمة.

والجديد في هذه الدراسة هو بيان رساليّة الأسلوب الوصفيّ وصدقه بعد كشفه واستنباطه من كلام الإمام عليه السلام وبلورته وعرضه كفنّ مستقلّ من فنون الأدب. والهدف منه هو الكشف عن الأشياء وإبانته لها، وتفعيل القدرة على التعبير والتحليل، والتنبيه على ضرورة حمل الرؤية التقويميّة للحكم على الأشياء ، والتفاعل مع مجريات الأُمور تفاعلاً إيجابيّاً نافعاً. وحريّ بالذكر أنّ هذه الدراسة مواصلة لدراسة قبلها تناولت الوصف التعليميّ في نهج البلاغة ، ونشرت في مجلّة الكليّة الإسلاميّة الجامعة. فهذه الدراسة هي الحلقة الثانية في الأدب الوصفيّ.

Abstract

This study deals with descriptive literature including wisdom, record and conceptual statement in Nahj Al-Balagha. in which I mam Ali way in people and things description is really the right descriptive way and an important factor from reformation view factors in life indicate special attention to what is happening and effective interaction that give meaning to life. It is a prophetic, targeted and generous way to serve religion, science , nation and appropriate values .

What is new in the study is the prophetic and earnest descriptive style after it is discover and inference from Imam Ali speech (peace be upon him). It elaborated and showed as independent art from literary arts. the aim was to reveal things and demonstrate it . and activation of expression and analysis capacity. and the need for attention to foster reformation view and judgement interaction with matters in appositive and meaningful interaction.

المقدّمة

الحديث عن الأدب الوصفيّ كالوصف نفسه في صعوبته وتطلّبه جهداً كبيراً لتوفيته حقّه وذلك لتشعّبه وشموليّته، لاسيّما إذا كان في نهج البلاغة إذ ورد فيه مفصّلاً بتعدّد أنواعه وانضوائه على الأغراض الأدبيّة الأُخرى والأدب الوصفيّ هنا هو الأدب الذي يتولّى الوصف بعامّة، وليس الأدب الذي يبحث في النتاج الأدبيّ الانشائيّ كما اُصطُلِح عليه. بعبارة بديلة، هو الوصف بوصفه غرضًا أدبيًّا مستقلًا. وفي الفقرة الآتية من البحث مزيد بيان لهذا الموضوع.

وقد فاض النهج بالأدب المذكور بل بكثرة مواطنه فلا يتسنّى الإحاطة بكلّ ماورد منه إلاّ إذا كان بالغ الأهميّة. وهو ليس بدعاً في كلام الإمام (عليه السلام) إذ إنّ له جذوراً قرآنيّة تتبيّن في الآيات القرآنيّة الكثيرة التي تصف الله سبحانه وتعالى، ونبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، والأنبياء (عليهم السلام)، والصحابة، والمتّقين، والمؤمنين، والمنافقين، والكافرين، وكثيراً من الأشياء. وليس هنا موضع ذكرها.

والذين ينتهجون الوصف أو يحترفونه ذوو نزعات شتّى، فمنهم من يصف رغبةً في الوصف نفسه إذ تطيب له نفسه وليشعر بلذة في إطلاق عباراته الوصفيّة، فهو عنده كالهواية؛ ومنهم من يصف ليبيّن قابليّته على التعبير والتحليل بعد ملاحظة الأشياء ومراقبتها؛ ومنهم من يصف ليؤدّي دوراً في الكشف والتبيين، فالوصف عنده وكما قيل: هو الخطاب الذي يسمّي كلّ ما هو موجود فيعطيه تميّزه الخاصّ وتفرّده داخل نسق الموجودات المشابهة له أوالمختلفة عنه[٣]؛ ومنهم من يصف لينبّه على أشياء مهمّة مغفول عنها؛ ومنهم من يصف ليبيّن

عظمة الموصوف أو حقيقته وكنهه أو ظلامته المتمثّلة بالتفريط في حقّه؛ ومنهم من يصف للتبجيل والتثمين والتقدير عرفاناً للجميل؛ ومنهم من يصف للتعريف بشيء مجهول؛ ومنهم من يصف للتسلية وقضاء الوقت. وهكذا تتباين توجّهات الواصفين وتتفاوت أوصافهم. ولعلّ أصعب غرض من الاغراض الأدبيّة هو الوصف لتطلّبه مهارة فائقة. «والوصّاف هو الذي تتوافر فيه ملكة ملاحظة الأشياء، ومراقبتها بدقّة متناهية، والتأمّل في التفاصيل والألوان والحركة والصفات والأفعال»[٤].

أمّا الوصف المطلوب فهو الوصف العمليّ. ويراد بالوصف العمليّ هو الوصف الذي يترك أثراً تربويّاً طيّباً، أو ينتج سجيّةً أخلاقيّةً محمودة، أو يولّد نظاماً قيميّاً حميداً، أو يحفّز على صنع موقف جليل كريم. وسيأتي تفصيل ذلك مع الأمثلة في هذا البحث لاحقاً، فشعار هذا البحث هو الوصف للعمل، وهنا تكمن عظمة الوصف وجماله وجلاله في نهج البلاغة، فهو فيه للعمل، وسنستعرضه في أنواع الوصف بنحو مبسوط، بيد أنّه من المستحسن هنا أن نذكر مثالين موجزين: حينما يصف الإمام (عليه السلام) ربّه سبحانه فإنّه يزرع الإيمان بوجود الله تعالى في قلوب السامعين، ويزيد المؤمنين بصيرةً بوجوده، ويرغم المنكرين والملحدين على الإيمان به جلّ وعلا. وحينما يصف الدنيا فإنّه يزهّد الناس فيها، ويرغّبهم في ابتذالها، ويُسعدهم باحتقارها وامتهانها، ويعالج أدواءها. وقال الشيخ محمّد عبده في تعليقه على الخطبة القاصعة: «... لأنّ سامعها لو كان متكبّراً ذهب تأثيرها بكبره كما يذهب الماء بالعطش»[٥]. وهكذا

وصفه لسائر الأشياء فإنّه الوصف العمليّ الوافي الذي يحقّق نقلةً في عالم الحقيقة فيجعل الإنسان يدرك حقيقة الأشياء؛ بل يرفعه من الشكّ إلى اليقين، ولا يتيسّر استيعابه في بحث واحد. وهو عنده (عليه السلام) وسيلة للتعريف بالأشياء. كما يدلّ على بالغ اهتمامه بما يجري حوله. وهذه آية موقفه السديد (عليه السلام) من كلّ شأن من الشؤون العامّة بمختلف أنواعها. ولم يكن دأبه (عليه السلام) في وصفه الافتنان والتسلية قطّ. وهو القائل لجنده الذين سبّوا أهل الشام: «... لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ...»[٦].

لأنّ الوصف المنصف أبلغ من الشتم والسباب وأنجع أثراً، وفيه دلالة على الاعتدال وقوّة الحجّة، وقد يُفضي إلى الاقناع ومحاجّة الخصم، ويعلّم الإنسان درساً في التعامل الموضوعيّ الهادىء مع أُولي الفكر المضادّ، وهذا مظهر من مظاهر الوصف العمليّ في النهج، وهو الوصف الذي يترك أثره التربويّ الناجع في كسب الخصم، ويبتعد عن الإجحاف في التقويم، ويُنهي التخاصم والتشاحن.

وينطوي الوصف على فوائد جمّة سترد في تضاعيف البحث. وصفوتها أنّه يولّد المعرفة، ويُضفي على الأشياء قيمتها الحقيقيّة، وهو أهمّ أُسلوب من أساليب التعبير؛ بل يعلّم الانسان كيف يعبّر عن الأشياء، ويحقّق له نقلة مؤنسة إلى عالمها، ويفتح له آفاقاً رحبةً توسّع مداركه الفكريّة. و«يلازم الوصف طبيعة النفس البشريّة خاصّة في طور البداوة»[٧].

وما من صعوبة تُذكر في إعداد هذا البحث إلّا طروء الفتور الذي تعاني منه النفس البشرية عادةً،

والجدّ في توليد الانطباع المطلوب عن الأدب الوصفيّ في النهج مسبوقاً بالجهد الجهيد في استنباطه من بين خطب النهج ورسائله وحكمه ثمّ بلورته بأسلوب بحثيّ علميّ مطلوب.

وجاء اختيار هذا الموضوع حرصاً على المعطيات الثمينة الثرّة التي يطفح بها الوصف في نهج البلاغة، لأنّه الوصف الدقيق العميق الصادق الذي يدلّ على حركة فاعلة هادفة أمام السكوت القاتل الدالّ على بلادة الإحساس، وكذلك شعوراً بالجفاء الذي لقيه (عليه السلام) من لدن كثير من العلماء والأُدباء إذ فرّطوا بحقّه بتركهم الاستنارة بكلامه (عليه السلام) والاستهداء بدرره الثاقبة، نتيجة انفعالهم بالأجواء السياسيّة والاجتماعيّة التي فتحوا أعينهم عليها، أو فقدانهم البصيرة بتمسّكهم بالموروث من آبائهم الأوّلين، أو تأثّرهم بالتضخيم المتعمَّد لدور غيره على حسابه (عليه السلام)، وأهمّ من ذلك كلّه الأَوَد واللَدَد اللذان عانى منهما منذ بداية حياته الشريفة إلى يوم استشهاده (عليه السلام) كما صرّح نفسه بذلك[٨].

وجاء الاختيار أيضاً لاندراج الأغراض الأدبيّة الأُخرى من مدح وهجاء وفخر ورثاء وغيرها تحت الوصف؛ بل قل لشموليّته واستيعابه لسائر الأغراض المعهودة.

والشعور بالمسؤوليّة بعد الخوف من الله سبحانه، وتحكيم الضمير، ودعوة البصيرة كلّ اولئك يحتّم علينا الأخذ بكلامه والتزوّد من مِزْوَدِهِ (عليه السلام) لأنّه الرجل الذي اصطفاه الله تعالى، واندمج على مكنون علم لم يَبُح به، وله موضعه الفذّ من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وهو الذي انكشفت له الحجب ممّا طُوي عن الناس غيبه[٩].

فكلّ ما نطق به حقّ لا ريب فيه، فالحاجة ماسّة إلى الاغتراف من بحره الزخّار، وما وصفه وصفة لكلّ داء فحريّ استيصافه لتطبيب الأدواء، فإذا توجّهنا إليه، وتفاعلنا معه أدركنا حقيقته و عرفنا سرّ عرضه وزال كلّ مجهول، وهذا هو المطلوب، إذ لو سأل سائل: لماذا وصف الإمام (عليه السلام)؟ فالجواب هو للكشف والتبيين، والتعريف و التعليم بحكم ما أُوتي من علمٍ لم يؤته أحد من هذه الأُمّة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

والوصف عن علمٍ هو الوصف الذي تتطلّع إليه النفوس و تطيب له، وتستهدي به. و كفى به مطمحاً. ومصادر هذا البحث التي اعتمدت عليها فسيأتي ذكر أهمّها في خاتمة البحث. ولم أر ضرورة لذكرها هنا. وأمّا المنهج المعتمد في هذا البحث، أي: طريقة المعالجة، فهو وصفيٌّ تحليليّ كما سيأتي إن شاء الله.

ويسبق ما يقال عن الوصف في النهج ما قيل في وصف النهج نفسه لأنّ وصف النهج يبعث على مزيد من الارتشاف والارتواء من ينبوعه العذب، والاصطباغ بصبغته الجميلة، والالتذاذ بطلاوته الجزلة، والتعرّف على كنوزه المغنية وفنونه الرائعة، ومنها الوصف الذي بلغ فيه الغاية، فهو بمسيس الحاجة الى العناية.

وحين تُطالَع الأقوال العَشَرة التي نقلها المرحوم المغفور له السيّد الحسينيّ الخطيب في الجزء الأوّل من موسوعته الجليلة الثمينة (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) في وصف نهج البلاغة لايجد المطالع أجمل وأروع وأشمل وأنجع من وصف المرحوم الشيخ محمّد عبده[١٠]. وأغلب الظنّ أنّ أحسن وصف للنهج هو الوصف المذكور، وبالموازنة بين تلك الأقوال يصدق الظنّ، وربّما يتّفق كثيرون في

ذلك، ولا أحسب أنّ أحداً يمتري في بلاغته حتّى إنّ أحمد الهاشميّ قد نقله في كتابه «جواهر الأدب» في الفنّ الرابع في الأوصاف تحت عنوان: «وصف نهج البلاغة للإمام المرحوم الشيخ محمّد عبده المتوفّى سنة ١٣٢٢هـ[١١]».

فوصف النهج يشجّع على اكتناه الوصف فيه. واكتناه الوصف فيه بعيد المنال، بيد أنّ مالا يدرك كلّه لا يترك كلّه، وقد مضت الحوافز على هذا البحث قريباً. وصفوة القول: إنّ مَن وصف الإمام (عليه السلام) وما وصف يدعو إلى التوفّر على ماوصف فتتبيّن حقيقة ما وصف. ومخطط هذا البحث بعد ملخّصه ومقدّمته هو الوصف في اللغة والاصطلاح، ثمّ الأدب الوصفيّ في نهج البلاغة برؤيةٍ عامّة. ويليها الأدب الوصفيّ الحكميّ والتسجيليّ مشفوعَين بالوصف البيانيّ. ثمّ بعد ذلك نتيجة البحث.

الوصف في اللغة والاصطلاح

تكاد كتب اللغة تشترك في المعنى اللغويّ للوصف. وهو ما تُفصح به دون غموض، ومعناه الاصطلاحيّ يقترب من معناه اللغويّ إذ تدلّ عليه بعض المعجمات وكتب الأدب.

وأكتفي بذكر كتاب لسان العرب لغنائه وإغنائه، ونقل المعجمات المتأخّرة عنه، ولرعاية الإيجاز، وأُسمّي المصادر الأُخرى ومؤلّفيها فقط، قال ابن منظور: «وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفةً: حَلاّه، والهاء عوض الواو، وقيل: الوصف المصدر والصفة الحلية. الليث: الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته، وتواصفوا الشيء من الوصف، وقوله عزّوجلّ: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أراد ماتصفونه من الكذب، واستوصفه الشيء: سأله

أن يصفه له، واتّصف الشيءُ: أمكن وصفه... واتّصف الشيء، أي: صار متواصفاً... واستوصفت الطبيبَ لدائي إذا سألته أن يصف لك ما تتعالج به، والصفة كالعلم والسواد، قال: وأمّا النحويّون فليس يريدون بالصفة هذا؛ لأنّ الصفة عندهم هي النعت، والنعت هو اسم الفاعل نحو ضارب، والمفعول نحو مضروب وما يرجع إليهما من طريق المعنى نحو مثل وشبه، ومايجري مجرى ذلك»[١٢].

ومن المناسب أن ننقل ما ذكره العسكريّ في فروقه اللغويّة. قال: «الفرق بين النعت والوصف: قيل: هما مترادفان، وفرّق بعضهم بينهما بأنّ الوصف ما كان بالحال المتنقلة كالقيام والقعود. والنعت: ما كان في خَلق وخُلق كالبياض والكرم، قيل: ولهذا لايجوز إطلاق النعت عليه سبحانه، لأنّ صفاته سبحانه لاتزول، قلت: ويردّه مافي الأدعية المأثورة، ومن ذلك: «يا من عجزت عن نعته أوصاف الواصفين». وغير ذلك من الأدعية.

قال ابن الأثير: النعت وصف الشيء بما فيه من حسن، ولا يقال في القبيح إلاّ أن يتكلّف، فيقال: نعت سوء، والوصف يقال في الحسن وفي القبيح»[١٣].

وأمّا الوصف اصطلاحاً فقد ورد في بعض المعجمات، وكتب الأدب بألفاظ متنوّعة، ونذكر منها ثلاثة لتبيان ماذُكر من التنوّع، واستيعاب ما تعدّد من التعاريف.

جاء في «المعجم المفصّل في اللغة والأدب» أنّ «الوصف في الأدب هو نهج في التعبير يطابق نهجاً في الإدراك، ويجسّد سياقاً في الوعي مبعثه طبيعة النفس التي تعي ذاتها ومحيطها الطبيعيّ، وقوامه نقل المشاهد والأحداث والحالات كما

تنعكس في مرآة الذات الانسانيّة، قولاً أو كتابةً... نستبعد كليّاً أن يكون الوصف مجرّد نقل وتصوير، ونؤكّد الحضور الانسانيّ فيما يُشاهد، ويُدرك، ويوصف»[١٤]. ثمّ يذكر المعجم المذكور أنّ الوصف ملازم لطبيعة النفس البشريّة. وانّه قسمان: نقليّ؛ ووجدانيّ[١٥].

وقال أحمد الهاشميّ في «جواهر الأدب»: الوصف عبارة عن بيان الأمر باستيعاب أحواله وضروب نعوته الممثّلة له وأصوله ثلاثة: أن يكون حقيقيّاً بالموصوف؛ أن يكون ذا طلاوة ورونق؛ أن لا يخرج فيه إلى حدود المبالغة والإسهاب، ويكتفي بما كان مناسباً للحال... ولكنّها ترجع إلى قسمين: وصف الأشياء، ووصف الأشخاص[١٦].

وذكر الدكتور عمر فروخ أنّ الوصف في كلّ شيء نوعان: خياليّ وحسّيّ. فالوصف الخياليّ يعتمد التشبيه والاستعارة ويحاول أن يستحضر الموصوف من الذاكرة. أمّا الوصف الحسّي فهو تصوير للموصوف. ولاريب في أنّ الوصف الحسّي أبلغ وأجود وأندر وأكثر صعوبةً من الوصف الخياليّ. وقد ذكر أبو هلال العسكريّ الوصف فقال (ص ١٢٨): «أجود الوصف ما يستوعب أكثر معاني الموصوف حتّى كأنّه يصوّر الموصوف لك فتراه نصب عينك».

وأورد ابن رشيق قولاً بارعاً لبعض معاصريه يقول فيه (٢: ٢٧٩): «أبلغ الوصف ما قَلَب السمعَ بصراً»[١٧]. وقال قدامة بن جعفر: إنّ أحسنَ الوصف ما أحاط بأكثر صفات الموصوف[١٨].

هذا هو الوصف في الاصطلاح، لكنّه ليس مجرّد نقل اعتيادي للأشياء فحسب؛ بل هو نقل فنيّ تظهر فيه شخصيّة الواصف ناظماً

كان أم ناثراً... وأفضل الوصف ما كان إيحائيّاً يسمو به صاحبه عن الواقع المادّيّ المحسوس المنقول وإن كان يعتمد عليه أساساً لكن دون أن يغرق في الابتعاد الكلّيّ عن حقيقة الشيء...[١٩].

فالذي يبدو ممّا قيل في الوصف الاصطلاحيّ أنَّه ملكة مودعة في جبلّة الإنسان. وأنَّه بيان يعبّر عن اهتمام الواصف بالإخبار عن الأشياء، والواصف كاشف ببراعةٍ مغبوطة لاسيّما إذا كان مبدئيّاً وليس له في الوصف مصلحة خاصّة، وماورد من معنى اصطلاحيّ للوصف ملحوظ في نهج البلاغة بكلّ جوانبه بخاصّة ما نقله ابن رشيق عن بعض معاصريه أنّ أبلغ الوصف ما قلب السمع بصراً. وسيأتي هذا المعنى في ثنايا البحث إن شاء الله. وهو من العجائب التي تفرّد بها الإمام (عليه السلام) في وصفه.

الأدب الوصفيّ في نهج البلاغة برؤية عامّة

استأثر الأدب الوصفيّ بمساحةٍ كبيرةٍ من نهج البلاغة، ودلّ على إبداعٍ عديم المثال في بابه، وله من الجاذبيّة والطلاوة ما يستوقف المتأمّل و«يستفرغ العجب» حقّاً، ولايراد من الوصف في نهج البلاغة ما عرض من مشتقّاته التي وردت قُرابة سبعين مرّةً فيه بل يراد منه ما نطق به الإمام (عليه السلام) في بيان الحقائق والأشياء، وما أجاب به المستوصِفين حين سألوه فأبلغ وأجمل في الجواب، وليس الوصف غرضاً مستقلًّا في النهج بيد أنّه مبثوث في كلماته الناجعة الوافية.

وما هذه الدراسة إلاّ كشف عن حقيقته ومزاياه وأنواعه، والحقّ أنّ الوصف في النهج كغيره من الأغراض الأدبيّة مدرسة للتربية والتعليم، وفيها كلّ ما لذّ وطاب،

ولا يتفاعل معه إلاّ صاحب الذوق الأدبيّ الرفيع، والموصوفات في النهج مشهودة محسوسة؛ وغيبيّة معقولة، أي: إنّ الإمام (عليه السلام) وصف ما يُرى وما لا يُرى، ووصفه لِما لا يُرى يحوّل السامع إلى ما يُرى، أي: لـمّا كان وصفه (عليه السلام) للأشياء المرئيّة المحسوسة ينطبق على حقائقها فوصفه للأشياء غير المرئيّة غير المحسوسة يمنح الإنسان اليقين بحقيقتها، وهذا ما يحدو الإنسان على التوجّه إليه (الوصف) واستلهامه، وهو من فرائده و نوادره (عليه السلام)، واستقراء الوصف في النهج يدلّ على أنّه ليس غرضاً أدبيّاً فحسب؛ بل هو غرض اجتماعيّ تربويّ تعليميّ يربّي المجتمع تربية سليمة سويّةً، ويعلّم الناس دروساً عميقة متنوّعة، ويضاعف علمهم بالأشياء، ويزيد الإنسان المؤمن بصيرةً، ويهدي الإنسان غير المؤمن إلى طريق مستقيم، ويُشعر كلّ أحد بلذّة روحيّة، ويباشر القلب فيسرّه، ويساهم في بناء النظام القيميّ في الحياة، وهذه هي مزاياه في النهج.

وهدف الوصف في نهج البلاغة- مباشراً كان أم غير مباشر، ووصف الأشياء كان أم وصف الأشخاص- هو إبانة الأشياء وبيان حقيقتها، وقد جاء مجرّداً في كثيرٍ من المواطن، كما جاء مزيجاً بالمدح أو القدح أو الفخر أو الرثاء في مواطن أخرى.

ولايتيسّر الإلمام بكلّ موضوعاته، بيد أنّ أهمّها يمكن أن يُذكر في هذه النظرة العامّة كعناوين بارزة توطئةً لأقسامه التي ستأتيّ في الفقرة اللاحقة.

وقد مرّ كلام وافٍ في مقدّمة هذا الدراسة حول الوصف في النهج.

وطريف الكلام في النظرة العامّة على الوصف في النهج أنّنا لا نجد «في الأدب العربيّ كلّه هذا المقدار

الذي نجده في نهج البلاغة من روائع الفكر السليم والمنطق المحكم، في مثل هذا الأسلوب النادر»[٢٠]، فهو يحيط «بهذا الواقع ويبرزه ويُجلّيه، ويجعل له امتدادات من معدنه وطبيعته، ويصبغه بألوان كثيرة من مادّته ولونه، فإذا الحقيقة تزداد وضوحاً، وإذا بطالبها يقع عليها أو تقع عليه!»[٢١].

«أمّا النظرية الفنّيّة القائلة بأنّ كلّ قبيحٍ في الطبيعة يُصبح جميلاً في الفنّ، فهي إن صحّت فإنّما الدليل عليها قائم في كلام ابن أبي طالب في وصف من فارقوا الدنيا، فما أهول الموت! وما أبشع وجهه! وما أروع كلام ابن أبي طالب فيه وما أجمل وقعه! فهو قول آخذٌ من العاطفة العميقة نصيباً كثيراً، ومن الخيال الخصب نصيباً أوفر، فإذا هو لوحة من لوحات الفنّ العظيم لاتدانيها إلّا لوحات عباقرة الفنون في اوربا ساعةً صوّروا الموت وهَوْلَه لوناً ونغماً وشعراً»[٢٢].

وصفوة القول إنَّ الوصف في النهج عالم رحب من البلاغة الساطعة المتألّقة ببيانها المتمثّل بالتشبيهات والاستعارات والكنايات والمجازات العقليّة والمُرسلَة؛ ومعانيها المتجسّدة في خبرها وإنشائها وقصرها ووصلها وفصلها وإطنابها وإيجازها ومساواتها وما ماثَلَ ذلك؛ وببديعها المشرق بجناسه وطباقه وتوريته ومقابلته وسجعه وحسن تعليله و ما ماثلها من أخواتها.

وقد جاء قبل قليل أنَّ الموصوفات في النهج قسمان: قسم لايقع عليه الحسّ؛ وقسم يقع عليه، أو هي بصبغة قرآنيّة: موصوفات عالم الغيب؛ وموصوفات عالم الشهادة. ويُكتفى منها بالعنوانات الآتية جواباً عن سؤالين هما: من وصف الإمام (عليه السلام)؟ وماذا وصف؟

موصوفات عالم الغيب

الله سبحانه وتعالى، الملائكة (عليهم السلام)، بداية الخلق، خلق آدم (عليه السلام)، الموت، ملك الموت، عالَم مابعد الموت أو عالم البرزخ، خلق الإنسان، الشيطان، القيامة، الجنّة والنار، الأنبياء (عليهم السلام)، الإمام المهديّ (عليه السلام)، الملاحم، الجاهليّة، وغيرها.

موصوفات عالم الشهادة (تشمل: أسماء الذوات وأسماء المعاني) النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، نفسه المقدّسة (عليه السلام) ومنزلته، أهل البيت (عليهم السلام)، القرآن الكريم، الإسلام، الكعبة، الفرائض، الإيمان، التقوى، أمرهم (أهل البيت (عليهم السلام))، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الصحابة، الناس والأشخاص والأقوام وأهالي المدن، الخلفاء الذين حكموا قبله، الخطايا، اختلاف العلماء في الفتيا، من يتصدَّى للحكم من الأُمّة وليس لذلك أهل، السماء والأرض، قتل عثمان، الشبهة، أعمال بعض الناس كعمل مصقلة بن هبيرة الشيبانيّ، خطأ الفِرَق على اختلاف حُجَجِها في دينها، الفتن، الموتى، حثالة المجتمع في كلّ زمان و مكان، الظلم، الحَكَمان، بعض الحيوانات، القبر، ذمائم الصفات، الغوغاء، بيعته بالخلافة، اللسان، أداء الأمانة، الحديث واختلاف الأخبار، العصبيّة والتعصّب، وأمثالها.

وتوجد ملاحظة مهمّة جدّاً وهي أنَّ الوصف الملحوظ في الأدب العربيّ هو الوصف الحِسّيّ للأشياء المحسوسة الملموسة، أمّا الوصف الغيبيّ فقلّ من تعرّض إليه من الأدباء، وهذه نقطة هامّة لا نُغالي إذا قلنا: إنّ أحداً لا يشارك الإمام (عليه السلام) في هذه الخصيصة في طبيعة الوصف وعمقه.

أقسام الأدب الوصفيّ في نهج البلاغة

يُستشفّ من طبيعة الوصف في

نهج البلاغة أنّه ذو أبعاد تعليميّة وحكميّة وتسجيليّة وبيانيّة. ولكلٍّ منها قسطه في البحث، وقد يتداخل بعض الأبعاد في بعض لكنّ عنواناتها تغلب على ما تداخل فيها، والحقّ أنّ كلّ قسم من أقسام الوصف يحتاج إلى دراسة مستقلّة غير أنّنا نقتطف منها ما يناسب حجم هذا البحث، فنخصّ كلًّا منها بتعريف مشفوع بالمثال وتحليله، وقد مضى الحديث عن الوصف التعليميّ في دراسة مستقلّة سابقة، أمّا الأدب الوصفيّ الحكميّ والتسجيليّ والبيانيّ فهو ما تتكفّل هذه الدراسة بالحديث عنه.

الأدب الوصفيّ الحِكَميّ

وهو الأدب الذي تودَع فيه خلاصة التجارب في الحياة، وعصارة المعاناة الاجتماعيّة والمصيريّة لإذاعتها في الناس تعبيراً عن موقف، ورسالة تعليميّة وتربويّة يتّعظ بها المتّعظون، وتُوجَّه إلى الأجيال الطالعة في جملة موادّ الإرشاد الأخلاقيّ والتعليم التربويّ. وهنا في هذا المجال يتلاقى الوصف الحكميّ والتعليميّ على الوسائل والأهداف[٢٣].

وهذا الوصف هو الوصف الهادي المرشد الذي يمتزج بالبُعدَين التربويّ والوعظيّ، ولـمّا كانت الحكمة هي وضع الشيء في موضعه فهذا الوصف نابع منها، فهو يعطي الأشياء حقّها من الوصف، وقيل: إنّ الحكمة «عبارة تُلخِّص علماً أو تعطي عبرةً أخلاقيّة»[٢٤]. وهذا الوصف يربّي ويعظ؛ بل هو عالم رحب للتربّي ومدرسة تربويّة لتخريج العناصر الصالحة التي يحتاج إليها المجتمع، والهدف الأساس من هذا الوصف في النهج هو ترسيخ الاستقامة في الحياة؛ ذلك أنّ وصف الدنيا، والموت، والمحتضر، والموتى، والقبر، وعالم مابعد الموت، والآخرة وغيرها من موادّ الوصف الحكميّ

يجعل الإنسان على الخطّ المستقيم دائماً وأبداً، وهذا هو عطاء الوصف الحِكَميّ.

لاريب في أنّ الإمام (عليه السلام) قد أبدع في وصف كلّ شيء من الأشياء، وهذه حقيقة اعترف بها القاصي والداني. «وأنّك لاتجد في الأدب العربيّ كلّه هذا المقدار الذي تجده في نهج البلاغة من روائع الفكر السليم والمنطق المحكَم، في مثل هذا الأسلوب النادر»[٢٥].

وصف الدنيا

ومن هذه الموضوعات: الدنيا التي لم يصفها أحد كما وصفها أمير المؤمنين (عليه السلام)، فهو يعرّفنا طبيعة الدنيا كما هي، وكما يستسيغه كلّ أنسان، ثمّ يزهّدنا فيها، ولا أظنّ عاقلاً بصيراً يعرف الدنيا في نهج البلاغة ثمّ يركن إليها، بيد أنّ هذه الدنيا في النهج على ضربَين:

«دنيا تُطلَب لذاتها مع الغفلة عمّا وراءها وهي المذمومة، ودنيا تُطلَب لما بعدها وتؤخذ من حلالها، وتُنال من الوجه الذي أذن الله به وهي المحمودة؛ لأنّ (الدنيا خُلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها)، وهي (دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنىً لمن تزوّد منها، ودار موعظة لمن اتّعظ بها، مسجد أحبّاء الله، ومصلّى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنّة، فمن ذا يذمّها؟)»[٢٦].

والدنيا المذمومة في النهج هي الدنيا الموصوفة في القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...﴾ (الحديد: ٢٠). فالدنيا الموصوفة في هذه الآية هي التي أمر أمير المؤمنين (عليه السلام) بالزهد فيها، ونهى عن الركون إليها، والتهالك عليها... (الدنيا

ملعونة، ملعون مافيها إلّا ما كان لله)[٢٧].

والملحوظ في النهج أنّه ميدان حرب شعواء على الدنيا التي تُتّخذ هدفاً و تُستَحبّ على الآخرة. والحقّ أنّ الدنيا وحدها كتاب مستقلّ في «نهج البلاغة».

ونكتفي فيما يأتي بوصفَين للدنيا في النهج، الأوّل: جاء في الكلام الثمانين أو الحادي والثمانين في وصف الدنيا، والثاني جاء في الخطبة التاسعة أو العاشرة بعد المائة في وصفها أيضاً.

قال (عليه السلام): «مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ، مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ»[٢٨].

قال الرضيّ (رحمه الله): أقول: وإذا تأمّل المتأمّل قوله (عليه السلام): (من أبصر بها بصّرته)، وجد تحته من المعنى العجيب، والغرض البعيد ما لا يُبلَغ غايته ولايُدرَك غوره، لاسيّما إذا قرن إليه قوله: (ومن أبصر إليها أعمته) فإنّه يجد الفرق بين «أبصر بها»، و«أبصر إليها» واضحاً نيّراً، وعجيباً باهراً.

الدرس المستفاد من هذا الوصف هو أنّ أهل الدنيا يعيشون هذه الحالات التي ذكرها الإمام (عليه السلام) محسوسةً ملموسةً لاشبهة فيها، فالوصف مطابق للسلوك العمليّ الملحوظ الذي يعيشه أهل الدنيا، والدرس الآخر، هو ضرورة التخطيط الدقيق من أجل التعامل الحكيم مع الدنيا كما هي، لا مع الدنيا المصطنعة.

وقال (عليه السلام) في وصفه الآخر: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ

بِالْآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لاَ تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلاَ تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا، غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ. لاَ تَعْدُو- إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا- أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾»[٢٩].

ويواصل الإمام (عليه السلام) خطبته في تعداد أوصاف الدنيا حتّى ينقل الإنسان منها نقلةً تسرّه وتُسعده إذ يراها دنيا دنيّةً فيترفّع عن دناءتها إلى العُليا، وهذا هو المرجوّ من الكلام الحكميّ، وهو الدرس الذي يفيض بالمعرفة إذ يضع الإنسان الدنيا في موضعها اللائق بها، فلا يتركها كلّ الترك، ولا يغرم بها كلّ الغرام، وهذا هو الذي يريده الإمام (عليه السلام) من وصف الدنيا، وعطاء هذا الوصف هو التخطيط للدارَين ولكن باستحباب تلك الدار الباقية على هذه الدار الفانية، وقال السيّد الحسينيّ الخطيب في كتابه النفيس (مصادر نهج البلاغة وأسانيده): «وقد ذكر السيّد في الطراز ج٢ ص ٢٧٢ عند كلامه على (المبادىء والافتتاحات) مطلع هذا الكلام (٢٢١ من النهج)... وعلّق عليه قائلاً: أُنظر أيّها المتأمّل إلى هذه المطالع في الوعظ والزجر، وهذه الافتتاحات بمعاني هذه الآي كيف طبق مفاصلها ولم يخالف مجراها، ويحقّق مغزاها بالكلام الذي تبهر القرائحَ فصاحتُه، وتُدهش العقول جزالتُه وبلاغته، ولله دَرُّ أمير المؤمنين، لقد فاق في كلّ خصاله، ونكص كلّ بليغ أن يحذو على مثاله...»[٣٠].

وصف الموت

ووصف الإمام (عليه السلام) الموت في أكثر من خمسة مواطن وصفاً يأخذ

الإنسان فيه أُهبَتَهُ للقائه موطّناً نفسه عليه.

قال (عليه السلام) في الخطبة السابعة والتسعين: «أَلاَ فَاذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَّاتِ، وَمُنَغِّصَ الشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ الْأُمْنِيَاتِ، عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ...».

وقال (عليه السلام) في الخطبة التاسعة والعشرين بعد المائة: «... وَمَا هُوَ إِلاَّ الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ. فَلاَ يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ، وَحَذِرَ الْإِقْلاَلَ وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ، طُولَ أَمَلٍ وَاسْتِبْعَادَ أَجَلٍ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ، مَحْمُولاً عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا، يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ...».

وقال (عليه السلام) في الخطبة المائة والسابعة والعشرين: «... وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً أَوْ مَرَضاً حَابِساً أَوْ مَوْتاً خَالِساً فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ، زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ...».

يقول جورج جرداق في بعض تعليقاته على كلام للإمام (عليه السلام) في الموت: «... فما أهول الموت! وما أبشع وجهه! وماأروع كلامَ ابن أبي طالب فيه! وما أجمل وقعه! فهو قولٌ آخذٌ من العاطفة العميقة نصيباً كثيراً، ومن الخيال الخصب نصيباً أوفر. فإذا هو لوحة من لوحات الفنّ العظيم لاتدانيها إلّا لوحات عباقرة الفنون في اوربا ساعةَ صوّروا الموتَ وهولَه لوناً ونغماً وشعراً. فبعد أن يُذكّر عليّ الأحياءَ بالموت ويقيم العلاقة بينهم وبينه، يوقظهم على أنّهم دانون من منزل الوحشة بقول فيه من الغربة القاسية، لون قاتم ونَغَم حزين...»[٣١].

وسرّ الحثّ الشديد على ذكر الموت- سواءً كان في القرآن الكريم

أم الأحاديث النبويّة أم في نهج البلاغة- عظيم، وحكمته بالغة. فإنّ من كان ذاكراً للموت مستعّداً له يعيش شجاعاً لايرهب سلطاناً، ولايجبن في نزال، ولايكفّ عن القتال، كريماً لايحرص على مال، عادلاً لايظلم بريئاً من الحرص والطمع، سالماً من الخبث والجشع، صابراً في البأساء والضرّاء، شاكراً عند الشدّة والرخاء، لا تزعزعه الشدائد، ولا تثني عزمه الأوابد، عزيزاً لايُخزى ولايُذل، عاملاً بجدّ لايكلّ ولا يملّ، لاتُريبه ريبة، ولا يجزع لمصيبة، ولا تفسده الشهوات، ولاتقوده اللّذات، ولاتضعضعه البليّات، لايؤخّر عملاً إلى غدٍ مخافة أن يُدركه الأجل فيفوته أجر العمل...[٣٢].

ووصف الإمام(عليه السلام) المحتضِر، والموتى ليُقيلنا من عثرة الغفلة ويُنقذنا من سكرة الدنيا ويعدّنا إعداداً صالحاً للوفود على الله سبحانه وتعالى.

قال (عليه السلام): «... كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ... فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ، فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ

لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ. ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتِيَاطاً بِهِ، فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لَا يُسْعِدُ بَاكِياً وَلَا يُجِيبُ دَاعِياً...»[٣٣]. ولابن أبي الحديد تعليق رائع على هذه الخطبة، وممّا قال فيه:

«من أراد أن يتعلّم الفصاحة والبلاغة، ويعرف فضلَ الكلام بعضه على بعض فليتأمّل هذه الخطبة؛ فإنّ نسبتَها إلى كلّ فصيحٍ من الكلام- عدا كلام الله ورسوله- نسبة الكواكب المنيرة الفلكيّة إلى الحجارة المظلمة الأرضيّة، ثمّ لينظر الناظر إلى ما عليها من البهاء والجلالة والرواء والديباجة، وما تُحدثه من الروعة والرهبة، والمخافة والخشية؛ حتّى لو تُليَت على زنديق ملحد مصمّم على اعتقاد نفي البعث والنشور، لهدّت قُواه، وأرعبت قلبه، وأضعفت نفسه، وزلزلت اعتقاده، فجزى الله قائلها عن الإسلام أفضل ماجزى به وليّاً من أوليائه! فما أبلغ نُصرته له! تارةً بيده وسيفه، وتارةً بلسانه ونطقه، وتارةً بقلبه وفكره! إن قيل: جهاد وحرب، فهو سيّد المجاهدين والمحاربين، وإن قيل: وعظ وتذكير، فهو أبلغ الواعظين والمذكّرين. وإن قيل: فقه وتفسير، فهو رئيس الفقهاء والمفسّرين. وإن قيل: عدل وتوحيد، فهو إمام العدل والموحّدين:

ليس على الله بمُستَنكَرٍ
أن يجمع العالَمَ في واحدٍ»[٣٤].

فهذا هو عطاء الوصف. وما أجزله من عطاء! وقد أغنانا كلام ابن أبي الحديد عن كلّ تعليق وتحليل.

وقال (عليه السلام): «... مِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ

فَلاَ يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لاَ يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلاَ يَمْنَعُونَ ضَيْماً، وَلاَ يُبَالُونَ مَنْدَبَةً... جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ، مُتَدَانُونَ لاَ يَتَزَاوَرُونَ، وَقَرِيبُونَ لاَ يَتَقَارَبُونَ، حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَجُهَلاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ... اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْناً وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاؤُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةً عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾»[٣٥].

ووصف الموتى في مواضع أُخرى من النهج يطول المقام بذكرها.

وتحليل هذا الوصف كلام ابن أبي الحديد في تعليقه على الخطبة التي خطبها الإمام (عليه السلام) بعد تلاوته: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، قال: «وأُقسم بمن تقسم الأمم كلّها به: لقد قرأتُ هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرّة، ما قرأتها قطّ إلاّ وأحدثت عندي روعةً وخوفاً وعظِة، وأثّرت في قلبي وجيباً، وفي أعضائي رِعدةً، ولا تأمّلتها إلاّ وذكرت الموتى من أهلي وأقاربي، وأرباب ودّي، وخلِت في نفسي أنّي أنا ذلك الشخص الذي وصف (عليه السلام) حاله، وكم قال الواعظون والخطباء والفصحاء في هذا المعنى، وكم وقفتُ على ماقالوه وتكرّر وقوفي عليه فلم أجد لشيء منه تأثير هذا الكلام في نفسي»[٣٦].

إنّ وصفه (عليه السلام) للموتى يُزهّد الإنسان في الدنيا، فيُعرض عنها، وتطيب نفسه بامتهانها فلا يهتمّ لأيّ شأن من شؤونها، وينتهج الصدق والنزاهة في التعامل مع كلِّ شيء فيها،

وقد يقول بعضهم: إنَّ هذا الوصف يُخيف الإنسان ويُحزنه ويولّد الكآبة في نفسه، والجواب هو أنّ الإمام (عليه السلام) لايبتغي من وراء وصفه إخافةَ الناس أو إحزانَهم أو إثارة الكآبة لديهم، بل يبتغي توجيههم إلى اتّخاذ الدنيا وسيلةً وإلى التأهّب للآخرة بدليل كلماته وخطبه الأُخرى بشأن الأُمور الدنيويّة التي تقدّم طرف منها في هذه الدراسة، وبدليل سيرته، وممارسته للحكم، وخوضه الحروب، وإدارته لشؤون الخلافة، على أنَّ تأثير الكلام يتوقّف على مدى استجابة المستمعين وثقافتهم ووعيهم.

وصف القبر

ووصف (عليه السلام) القبر، فقال: «يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لاَحِقاً بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ [القبر]، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ، فَيَالَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ!...»[٣٧].

وهذا مصير كلّ إنسان، ولايدركه إلاّ أُولو الألباب، وتحليل هذا الوصف مذكور في آخر الخطبة، وهو الاتّعاظ بالعِبر، والاعتبار بالغِيَر، والانتفاع بالنُذُر، فكأنّه (عليه السلام) وصف القبر لنكون من المتّعظين المعتبرين المنتفعين، وهذا هو نتاج الوصف.

وصف عالم البرزخ

ووصف (عليه السلام) عالَمَ ما بعد الموت وصفاً مفصّلاً في خطبته العجيبة المعروفة بالغرّاء، التي يقول فيها الشريف الرضيّ (رحمه الله): وفي الخبر أنّه (عليه السلام) لمّا خطب بهذه الخطبة اقشعرّت لها الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب[٣٨].

ونذكر هنا وصفه الآخر (عليه السلام) لذلك العالَم وذلك في كلام له (عليه السلام)، كان كثيراً ما ينادي به أصحابه: «تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ

الـزَّادِ، فـإنَّ أَمَامَكُـمْ عَقَبَـةً كَـؤُوداً وَمَنَـازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَـةً لاَبُـدَّ مِـنَ الْـوُرُودِ عَلَيْهَـا وَالْوُقُـوفِ عِنْدَهَـا...»[٣٩].

هـذا الـكلام وأمثالـه يمنـح الإنسـان اليقـين بعـالم مابعـد المـوت، وهـو عـالم الـبرزخ الـذي ذكـره القـرآن الكريـم (المؤمنـون: ١٠٠). وجـاء في بدايـة هـذه الدراسـة أنّ وصفـه (عليه السلام) للأشـياء المحسوسـة لمّـا كان ينطبـق عـلى حقيقتهـا فـإنّ وصفـه للأشـياء غـير المحسوسـة يمنـح الإنسـان اليقـين بوجودهـا وحقيقتهـا.

وصف القيامة

ووصـف عليـه السـلام القيامـة في ما يربـو عـلى خمسـة مواضـع مـن النهـج، فقـال (عليه السلام) في بعضهـا: «وَذلِـكَ يَـوْمٌ يَجْمَـعُ اللهُ فِيـهِ الْأَوَّلِـينَ والْآخِرِيـنَ لِنِقَـاشِ الْحِسَـابِ، وَجَـزَاءِ الْأَعْـمَالِ، خُضُوعـاً قِيامـاً قَـدْ أَلْجَمَهُـمُ الْعَـرَقُ، وَرَجَفَـتْ بِهِـمُ الْأَرْضُ، فَأَحْسَـنُهُمْ حَـالاً مَـنْ وَجَـدَ لِقَدَمَيْـهِ مَوْضِعـاً، وَلِنَفْسِـهِ مُتَّسَـعاً»[٤٠].

وقـال (عليه السلام): «... عِبَـادَ الله، احْذَرُوا يَوْمـاً تُفْحَـصُ فِيـهِ الْأَعْـمَالُ، وَيَكْثُـرُ فِيـهِ الزِّلْـزَالُ، وَتَشِـيبُ فِيـهِ الْأَطْفَـالُ»[٤١].

وقـال (عليه السلام): «... يَـوْمٌ تَشْـخَصُ فِيـهِ الْأَبْصَـارُ، وَتُظْلِـمُ لَـهُ الْأَقْطَـارُ، وَتُعَطَّـلُ فِيـهِ صُرُومُ الْعِشَـارِ، وَيُنْفَـخُ فِي الصُّـورِ، فَتَزْهَـقُ كُلُّ مُهْجَـةٍ، وَتَبْكَـمُ كُلُّ لَهْجَـةٍ، وَتَـذِلُّ (تـدكّ) الشُّـمُّ الشَّـوَامِخُ، وَالصُّـمُّ الرَّوَاسِـخُ، فَيَصِـيرُ صَلْدُهَـا سَرَابـاً رَقْرَقـاً، وَمَعْهَدُهَـا قَاعـاً سَـمْلَقاً. فَـلاَ شَـفِيعٌ يَشْـفَعُ، وَلاَ حَمِيـمٌ يَدفَـعُ، وَلاَ مَعْـذِرَةٌ تنفـعُ»[٤٢].

هـذه شـذرات مـن أمثلـة الوصـف الحِكَمـيّ الوعظـيّ التربـويّ، ولايتسـنّى الإحاطـة بكلّ مايتّصـل بـه، وفي كتـاب المرحـوم العلاّمـة الشـيخ محمـد مهـدي شـمس الديـن (رحمه الله) «دراسـات في نهـج البلاغـة» بحـثٌ حـول الوعـظ في نهـج البلاغـة[٤٣]. وقد حـوى معلومـات مفيـدة عـن الوصـف

الحكميّ، وهو بحث جدير بالمطالعة والدراسة والاستظهار حقّاً؛ بل هو لُباب الكلام في الوعظ، وننقل منه شيئاً يسيراً فيما يأتي:

«والقسم الوعظي على ضروبٍ وألوان، ففيه مواعظ بالتحذير من اتّباع الهوى وطول الأمل، وأُخرى بالحضّ على العمل قبل فوات الفرصة، وثالثة بالتذكير بالماضين، ورابعة بتقلّب الدنيا.

ماذا يعني اتّباع الهوى وطول الأمل في الدنيا؟

أمّا اتّباع الهوى فهو يعني أنّ الإنسان يبني مشاريعه على أُسس غير عقليّة، ومن ثمّ غير واقعيّة، وإنّما هي قائمة على نزوات وشهوات ضخّمها الخيال، وأمّا طول الأمل فيعني أنّ الإنسان يغمض عينيه عن أعظم حقيقة هو لابدّ ملاقيها وهي الموت، وإذاً فهذا اللون من الوعظ موجّه إلى الذين يتهالكون على الدنيا تهالكاً خطراً يجرّهم إلى أمرين خطيرين: أوّلهما تزييف الواقع الذي يحيونه...، وثانيهما ضمور الحاسّة الأخلاقيّة في النفس إلى حدٍّ يجعل الإنسان ضعيفاً أمام رغائبه و أهوائه...»[٤٤].

الأدب الوصفيّ التسجيليّ

وهو الذي يسعى أصحابه إلى تسجيل الأحداث البارزة، والوقائع المهمّة، في زمن من الأزمان، وبيئةٍ من البيئات. وهو يتّسع لألوان مستطرفة من الغرائب والعجائب؛ كما يتّسع لتاريخ الأحداث الجليلة، والوقائع المصيريّة الحاسمة في سيرة الجماعات، والنابهين من العظماء[٤٥].

ومن مفردات هذا الأدب الوصفيّ في نهج البلاغة هي تسجيل وقائع السقيفة، وقتل عثمان، وبيعته (عليه السلام) بالخلافة، وما وقع من أحداث مؤلمة إبّان خلافته، وأعمال بعض الناس كعمل مصقلة بن هبيرة الشيبانيّ، والفتن، والملاحم التي

تدخل في المُغَيَّبات التي تحدّث (عليه السلام) عنها في مناسبات كثيرة وتحقّقت كغرق البصرة، وتسلّط الظالمين على الكوفة، وتغلّب معاوية على الحكم، ومصير الخوارج ونهاية أمرهم، ومروان واستلامه للحكم، وحركة الزنج، وولاية الحَجّاج، والأتراك، وبني أميّة وظلمهم ونهايتهم، وخروج الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)، ووقائع تشمل الدنيا وتهلك الحرث والنسل[٤٦].

وصف الإمام (عليه السلام) تقمّص الخليفة الأوّل للخلافة في السقيفة، واستقالته إيّاها في حياته، وإدلاءها إلى من بعده، وتواطؤ الأوَّلَين على اقتسامها، وجعل الثاني لها في جماعة، وماحدث في زمن الثالث، وما جرى في عهده من النكث والمروق والقُسوط، وحلاوة الدنيا في أعين الناكثين والمارقين والقاسطين، كلّ ذلك وغيره ذكره (عليه السلام) في خطبته الشقشقيّة المعروفة.

وصف مقتل عثمان

ووصف (عليه السلام) قتل عثمان، فقال: «لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ: اِسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ اَلْأَثَرَةَ، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ اَلْجَزَعَ، وَلله حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي اَلْمُسْتَأْثِرِ وَاَلْجَازِعِ»[٤٧].

وهذا كلام معناه أنّ خاذليه كانوا خيراً من ناصريه، لأنّ الذين نصروه كان أكثرهم فُسّاقاً كمروان بن الحكم وأضرابه. وخذله المهاجرون والأنصار[٤٨].

قوله (عليه السلام): «وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ...» إلى آخره، فمعناه أنّه فعل ما لا يجوز، وفعلتم ما لا يجوز، أمّا هو فقد استبدّ بالأُمور فأساء في الاستبداد، وأمّا أنتم فجزعتم

ممّا فعل، أي: حزنتم فأسأتم الجزع لأنّكم قتلتموه... ولله حكم سيحكم به فيه وفيكم[٤٩].

ووصفُهُ (عليه السلام) قتلَ عثمان أدقُّ وصفٍ إذ عرّف فيه بإيجازٍ بليغ حقيقة القاتل والمقتول، ودلّ على سداد موقفه (عليه السلام) منه، كذلك يُستشفّ منه شدّةُ الجانبَين وسَورَتُهما.

وصف بيعته بالخلافة

وصف (عليه السلام) بيعته بالخلافة، فقال: «وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ اَلْإِبِلِ اَلْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا حَتَّى اِنْقَطَعَتِ اَلنَّعْلُ، وَ سَقَطَ اَلرِّدَاءُ، وَوُطِئَ اَلضَّعِيفُ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ اَلنَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ اِبْتَهَجَ بِهَا اَلصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا اَلْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا اَلْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا اَلْكِعَابُ»[٥٠].

يصف (عليه السلام) تدافع الناس على بيعته، ويُشبّه ذلك التدافع بتدافع الإبل العطاش على الماء للارتواء. وكانت شدّة الإزدحام فائقة بحيث انقطعت النعل، وسقطت الرداء، ودِيس الضعيفُ، وسُرَّ الناس غاية السرور ببيعته (عليه السلام) إذ فرح بها الطفل الصغير، ومشى الشيخ الكبير إليها مشية الضعيف المرتعش، وتكلّف المريض المشي صوبها على مشقّة، وكشفت الجارية عن وجهها «متوجهة إلى البيعة لتعقدها بلا استحياء لشدّة الرغبة والحرص على إتمام الأمر لأمير المؤمنين، والغرض من الكلام الاحتجاج على المخالفين بأنّ الأُمّة بايعته مختارةً»[٥١].

وصف أعمال بعض الناس

ووصف (عليه السلام) أعمال بعض الناس كعمل مَصقَلَة بن هُبَيرَة الشيبانيّ لمّا هرب إلى معاوية. وكان قد اشترى سَبيَ بني ناجية من عامل أمير المؤمنين (عليه السلام) وأعتقهم، فلمّا طالبه بالمال خانَ به و هرب إلى الشام. قال

(عليه السلام) فيه:

«قَبَّحَ اللهُ مَصْقَلَةَ، فَعَلَ فِعْلَ السَّادَاتِ وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ، فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، وَلاَ صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ، وَلَو أَقَامَ لاَخَذْنَا مَيْسُورَهُ، وَانْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ»[٥٢].

الإمام (عليه السلام) هنا يقوّم عمل مصقلة، أي: يحكم عليه بإبداء رأيه فيه، وهذه الرؤية التقويميّة في غاية الأهميّة؛ لأنّها تدلّ على الشعور بالمسؤوليّة، ووجوب اتّخاذ الموقف المناسب من كلّ قضيّة، وترك منطق اللامبالاة، والنطق بحقّ بيّن، والاهتمام بما يجري في الحياة، وعمل مصقلة- لاريب- مذموم بسبب خيانته وفراره إلى الشام، وإنّ أعظم الخيانة خيانة الأُمة كما قال الإمام (عليه السلام) في الكتاب الحادي والعشرين من كتب «نهج البلاغة»، وذكر (عليه السلام) أربع صفات لمصقلة بعد الدعاء عليه، ففعله يدلّ على عزّة، وفراره يحكي ذلّةً، ولا يشرع المادح بمدحه إلاّ يسكت، فاستتلى عمله تبكيت واصفه إيّاه.

ووصف (عليه السلام) ما حدث في عهده من وقائع مؤلمة منشؤها الهوى والأَثَرة والإعجاب بالنفس وحلاوة الدنيا في أعين أصحابها، فسجّل ماشهدته أيّام خلافته من فتن مفروضة تسجيلاً أميناً دقيقاً ليلفت الأنظار إلى حقيقة حقائق لايعيها إلّا أولو البصائر.

وصف فتنة الجمل

ومن أمثلة هذا الوصف: وصف مساعير فتنة الجمل، فقال (عليه السلام) مسجّلاً ما فعلوه قبل نشوب الحرب:

«فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي

الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ، فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً، وَطَائِفَةً غَدْراً...»[٥٣].

يدلّ هذا الوصف على أنّ الفاعلين قد هتكوا حرمة زوجة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)- المأمورة بلزوم بيتها- بجرّها كما تُجرّ الأَمَة، وهي محبوسة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي التشبيه امتهان، فهم لم يُنصفوا في إبرازها، وترك نسائها في بيوتها إذ في هذا العمل جفاء، وفي الكلام عجيبة من عجائب التاريخ الإسلاميّ، وهي نقض البيعة نقضها مسلمون، فهم كانوا قد بايعوا الإمام (عليه السلام) طائعين ثمّ نكثوا بيعتهم غير مستدلّين ولا مُتروّين، فلم يكونوا لعهدهم راعين، وأنكى من ذلك ارتكابهم جريمه القتل وإراقة الدماء المحرّمة بلا مسوّغ شرعيّ.

يحمل الكلام ثلاثَ دلالاتٍ يُعرف بها الحقّ من الباطل بلا نظر إلى الأشخاص، والوصف هنا يبيّن لنا الحقّ بوصفه حقًّا والباطل بوصفه باطلًا، والقياس هو الحقّ نفسه والباطل نفسه لا أصحابها، فالحقّ مثلاً إنّ نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مُلزَمات بالقرار في بيوتهنّ، والباطل خروجهنّ منها مهما كان وأيّاً كانت إحداهنّ. والحقّ تحقّق البيعة وتمامها بشروطها طواعيةً، والإجماع عليها، والباطل نقضها بلا دليل شرعيّ أو أخلاقيّ أو علميّ، ولا مستمسك موثوق به يدينها، والحقّ حرمة دم الإنسان وتحريم قتله، والباطل هو انتهاك تلك الحرمة التي لا يحلّ انتهاكها، وسفك دمه.

فالوصف هنا يؤكّد حقَّ الإمام (عليه السلام) وباطلَ مناوئيه، ونتيجة ذلك: التشخيص الصائب الدقيق لحقيقة الحقّ والباطل وكنههما.

وسجّل (عليه السلام) موقف البصريّين الذين اشتركوا في حرب الجمل غير واعين لما فعلوه، واصفاً إيّاهم بأنّهم جند المرأة، وأتباع البهيمة، رغا فأجابوا، ولمّا عُقِر هربوا...[٥٤].

نلحظ في هذا الوصف ذمّاً صريحاً لأولئك الناس الذين قد فرّطوا في جنب الله سبحانه، وقاموا بما لم يُحْمَد إذ ائتمروا بأمر امرأة عَمَست عليهم الأمر ولَبَسَته عليهم، ولم يُدركوا أنّها مأمورة بلزوم بيتها، وتعلّقوا بجملٍ شُغفوا به إذ أجابوا رُغاءَهُ، والجمل لا يرغو إلاّ عن ذلّ واستكانة.

ودلّ الوصف على تقويمٍ دقيق لفعال قومٍ كي يكونوا عبرةً ومثلاً للآخِرين، وليكن وقايةً من تكرار أمثالها، وفيه كشف لحقيقة أولئك المخدوعين، وجلاءٌ لأمور خافية.

وصف أهل الشام

ووصف (عليه السلام) أهل الشام وصفاً دقيقاً سجّل فيه غلظتهم وفظاظتهم ووغدهم ورذالتهم ورداءة أخلاقهم.

فقال (عليه السلام): «**جُفَاةٌ طَغَامٌ، وعَبِيدٌ أَقْزَامٌ، جُمِّعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، ولَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلاَ مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ**»[٥٥].

فإقدامهم على حربه (عليه السلام)، وهو حدث بارز وخطب مهمّ، نتيجة لتلك المثالب التي شانتهم فكانوا وقود وقعة صفّين، وركّز (عليه السلام) على جهلهم وهمجيّتهم إذ يتعيّن تفقيههم وتأديبهم، وتعليمهم وتدريبهم، وهذا تسجيل لحالهم التي كانوا عليها.

الوصف هنا يسجّل طبيعةَ قومٍ حاربوا الإمام (عليه السلام) طائعين لحاكم قاسط غير ذي دينٍ كان قد عمس عليهم الخبر وَلَبَسَ الأمر لشَبقِه الشديد إلى الحكم والتحكّم.

واللافت للنظر أنّ قراءةً محايدةً للتاريخ تدلّنا على أنّ جميع الذين حادّوا أميرَ المؤمنين (عليه السلام) كانوا غيرَ محمودي السيرة قطّ. ولاريب أنّ محادّتهم للإمام (عليه السلام) ناجمة عن جهلٍ أو حقدٍ أو حسدٍ أو خسّةِ معدنٍ.

ووصف (عليه السلام) بدءَ أمره عند لقائه أهل الشام، فقال في الكتاب (٥٨) إلى أهل الأمصار يقصّ فيه ماجرى بينه وبينهم: «وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا الْتَقَيْنَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ، لَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ، وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا، الْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ، فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا يُدْرَكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ، حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَحْمِعَ، فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ، فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ»! (النائرة: الثائرة، من ثارت الفتنة إذا اشتعلت وهاجت. المكابرة: المعاندة).

قوله (عليه السلام): «والظاهر أنَّ ربَّنا واحد...»: الواو للحال. أي: كان التقاؤنا في حال يظهر فيها أنّنا متّحدون في العقيدة لا اختلاف بيننا إلاّ في دم عثمان[٥٦].

قوله (عليه السلام): «لانستزيدهم في الإيمان»، أي: لا نطلب منهم زيادة في الإيمان[٥٧].

سجّل الإمام (عليه السلام) في هذا الكتاب تولّي الشاميّين عن الاستجابة لدعوة الحقّ بسبب عنادهم وشقاقهم، أي: إنّهم لم ينطلقوا من موقف سليم؛ بل كان موقفهم سقيماً إذ خالفوا الحقّ وردّوه وهم يعرفونه، وهذا العناد لم ينمّ إلاّ عن اتّباع أهوائهم أو عن عتوّهم أو نفورهم، وليس فيه للأمّة إلا الوَبال والخَبال.

وصف قضيّة التحكيم

ووصف (عليه السلام) قضيّة التحكيم

المشهورة في التاريخ، فقال (عليه السلام) في الكلام الخامس والعشرين بعد المائة وذلك بعد سماعه لأمر الحَكَمين: «إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ، وهَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلاَبُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ، وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.... وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي التَّحْكِيمِ؟ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ...»(٥٨).

وقال (عليه السلام) في الكلام السابع والعشرين بعد المائة: «... فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحُكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ الِاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الِافْتِرَاقُ عَنْهُ، فَإِنْ جَرَّنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمُ اتَّبَعْنَاهُمْ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا، فَلَمْ آتِ- لَا أَبَا لَكُمْ- بُجْراً، وَلَا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلَا لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ. [يخاطب الخوارج لاعتراضهم على التحكيم بعد إصرارهم عليه]. إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلَّا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا- فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ، وَالصَّمْدِ لِلْحَقِّ- سُوءَ رَأْيِهِمَا، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا»(٥٩).

يركّز الإمام (عليه السلام) على معياريّة القرآن الكريم في التحكيم لا معياريّة الرجال، فالمقياس هو القرآن وحده، وإنَّما الرجال وسيلة إلى تبيين حقائقه، وإذا كانوا من أهله فإنّهم يجعلون حكمه نصب أعينهم ويتحمّسون له ويغارون عليه، ويؤكّد (عليه السلام) أنّه لم يأتِ شرّاً، ولم يخدعهم عن أمرهم، ولم يخلطه ويشبّهه عليهم، وهم الذين كانوا قد أرغموه على التحكيم حين رفع أهل الشام المصاحف حيلةً

وغِيلة، ومكراً وخديعة، وكان (عليه السلام) قد نبّههم على أنّ عمل أهل الشام خدعة، وأنَّ ظاهره إيمان وباطنه عدوان، وأوّله رحمة، وآخره ندامة وقد جاء ذلك في الكلام المائة والثاني والعشرين من «نهج البلاغة».

وبيّن (عليه السلام) اجتماع الفريقَين على اختيار الحكمَين على كُره منه ومن بعض المخلصين من أصحابه من أُولي العلم والبصيرة، وقدّم لنا صورةً واضحةً عن طبيعتهما. فهما لم يكونا من أهل القرآن إذ تاها عنه وشطّا، لأنّ القرآن لم يتمكّن من أنفسهما، ولم يهذّبهما، وما تيههما عنه إلاّ لأنّهما لم يُحكِماه ولم يؤمنا بقداسته، ولم يوقّراه ويحفظا حرمته، فتركا الحقّ وهما يبصرانه، وليس عجيباً فإنّهما من الذين ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾. النمل: ١٤.

وحكمهما الذي حكما به يدلّنا على هويّتهما وسيرتهما، ولا يدع لنا شكّاً في أنّهما كانا ضالّين مُضِلّين، وقد جنيا على الدين والأُمّة جنايةً عظيمة مازالت آثارها ماثلةً.

وصف الغارات

وسجّل (عليه السلام) في بعض كلماته الغارات التي شُنّت على أطراف البلاد وهي وقائع مهمّة وأحداث خطيرة وصفها (عليه السلام) ووصف أصحابها وأهدافها أدقّ وصف، ومن هذه الغارات: غارة سفيان بن عوف الغامديّ على الأنبار؛ وغارة بسر بن أبي أرطاة العامريّ على اليمن.

وممّا قاله (عليه السلام) في الخطبة السابعة والعشرين واصفاً الأولى: «وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلُبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرُعُثَهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ

وَالِاسْتِرْحَامِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ [جرح]، وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ. فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً؛ بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً ...»[٦٠].

ذكر (عليه السلام) الغامديَّ مجرّداً عن كلّ قدح وهو قد انتهك حرمة الأنبار، وارتكب جريمة قتل شنعاء بحقّ واليها، وأزال الخيل عن ثغورها.

وصوّر (عليه السلام) تلك الحالة المزرية المتمثّلة بدخول جند الغامدي على المرأة المسلمة وغير المسلمة ففعلوا ما هو عار عليهم بسلبهم ونهبهم إيَّاها بلا استحياء، ولم يكن لها لتقاومهم إلاّ أن تتأوّه مسترجعةً (قائلة: إنّا لله وإنّا إليه راجعون) مسترحمةً، ولايدلّ هذا العمل الدنيء على رجولة وشهامة؛ بل يدلّ على رذالة ونذالة.

ورجعوا سالمين إلى ديارهم، ويُبدي الإمام (عليه السلام) توجّعه على تلك الأعمال القبيحة إلى درجة أنّ المسلم الغيور لو مات كَمَداً على ذلك لما يُلام، يدلّ وصفه (عليه السلام) على همجيّة جيش العدوّ وجَلافته وسحقه للقيم الإنسانيّة وسَدارته، كما يدلّ على لَهَفه وتحسّره (عليه السلام) لقبيح ما فُعل، ولم يفرّق (عليه السلام) بين المسلمة وغير المسلمة في حديثه عن انتهاك العدوّ حرمتها.

فهذا وصف ثمرته أن نعلم ماذا جرى في التاريخ الإسلاميّ، وأن نميّز القِيَميّ من غير القِيَميّ فنقتدي بالأوّل ونُدين الآخر غير مكتفين بالإدانة والاستقباح؛ بل نسجّل موقفاً مناسباً تجاهها، فنعمل بجدّ وهدفيّة لئلّا تتكرر مثل تلك الأعمال المَشينة المنافية للأخلاق الرفيعة.

ووصف (عليه السلام) غارة بُسر بن أبي أرطاة على اليمن. وممَّا قاله في ذلك: «أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ[٦١]، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ

مِنْكُمْ[٦٢] بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي اَلْحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي اَلْبَاطِلِ، وَبِأَدَائِهِمُ اَلْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ، وَبِصَلاَحِهِمْ فِي بِلاَدِهِمْ وَفَسَادِكُمْ...»[٦٣].

وبُسر هذا مشهور بقسوته ووحشيّته؛ لأنّه فعل ما فعل من الأعمال الشنيعة النكراء التي كان منها ذبحه لِطِفلَي عبيد الله بن العبّاس والي الإمام (عليه السلام) على اليمن وهما في حجر أُمّهما.

وأهمّ ما في هذا الوصف هو الموقف السقيم للمخاطَبين إذ لم يستجيبوا لنداء الحقّ ولم يتفاعلوا مع دعوة سليمة، وفكر سديد، وتعاليم رشيدة، وخليق بالذكر أنّ الاستجابة هي العنصر الأهمّ في نجاح أيّ فكر أو دعوة أو مدرسة. فلا يرتاب عاقل بصير في أنّ الإمام (عليه السلام) كان أكفأ قائدٍ وأفضل أمير بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنّ التعاليم التي عرضها هي من أسمى التعاليم وأرقاها؛ لكنّه (عليه السلام) لم يلقَ استجابةً مِن لدن مَن عاش معهم بسبب جهلهم، أو عنادهم، أو اتّباعهم لأهوائهم، أو جموح أنفسهم، وهذا هو سرّ محنته وظُلامته (عليه السلام).

وصف الخوارج

ووصف (عليه السلام) فتنة المارقين الذين حاربوه في النهروان وهم الخوارج الذين عُرفوا بحماقتهم وعتاهيتهم. وممّا قال فيها:

«أَمَّا بَعْدَ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا [ظلمتها]، وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا...»[٦٤].

وذكر الشيخ التستريّ نقلاً عن ابن أبي الحديد أنّ الإمام (عليه السلام) خطب هذه الخطبة بعد انقضاء أمر النهروان[٦٥].

وشرح ابن أبي الحديد معنى فقئه

عين الفتنة بقوله: «إقدامه عليها حتّى أطفأ نارها كأنّه جعل للفتنة عيناً محدقة يهابها الناس، فأقدم هو عليها، ففقأ عينها، فسكنت بعد حركتها وهيجانها»[٦٦].

ولم يجترئ عليها أحد؛ لأنّ الخوارج وأمثالهم كانوا يزعمون أنّهم من أهل القبلة، وكانوا متنسّكين في ظاهرهم ومن قرّاء القرآن، وقد عمّ ضلال فتنتهم فشمل، فكنّى عن الضلال بالغيهب، وكنّى عن العموم والشمول بالتموّج، واشتدّ كلبها: أي: شرّها وأذاها[٦٧].

سجّل الإمام (عليه السلام) في هذا الوصف انتشار ضلالهم واستفحال شرّهم، إلى ما كانوا عليه من ظاهر خادع أخاف كلّ أحدٍ من قتالهم.

وثبّت (عليه السلام) سفاهتهم وحماقتهم حين أرادوا منه أن يشهد على نفسه بالكفر، فبدأ كلامه بالدعاء عليهم بالهلاك قائلاً: «أَصابَكُمْ حاصِبٌ [ريح شديدة تحمل التراب والحصى] وَلا بَقِيَ مِنْكُمْ آثِرٌ [مخبر يروي أثراً]. أَبَعْدَ إِيمانِي بِالله، وَجِهادِي مَعَ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ؟[٦٨].

ولمّا عزم على حربهم، وقيل له: إنّ القوم عبروا جسر النهروان. قال (عليه السلام): مصارعهم دون النطفة [ماء النهر]. والله لايُفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة.

هذا وصف لمصارعهم ولعدد من يقتل منهم ومن جيشه (عليه السلام) قبل نشوب الحرب، وهذا الخبر كما ذكر ابن أبي الحديد من الأخبار التي تكاد تكون متواترة لاشتهاره، ونَقْل الناس كافّة له، وهو من معجزاته وأخباره المفصّلة عن الغيوب[٦٩].

وقال (عليه السلام) لما قُتِلوا، وقيل له: يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم: **«كَلاَّ وَاللهِ؛ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ، وَكُلَّمَا نَجَمَ**

مِنْهُمْ قَرْنٌ، قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلاَّبِينَ»[٧٠].

في أغلب الظنّ أنّه (عليه السلام) يريد أن يبيّن بقاء من يحمل فكرهم وينتهج طريقهم في كلّ عصر ومصر، وهو ما نلحظه هذا اليوم إذ تحقّق ما قاله (عليه السلام)، فبين المسلمين اليوم من يحمل الأفكار المارقيّة، وأعمالهم تدلّ على ذلك.

هذه أمثلة من الأدب الوصفيّ التسجيليّ، ونهج البلاغة حافل بها إلاّ أنّ طبيعة البحث لا تسمح بأكثر من ذلك. وأمّا أخباره (عليه السلام) بالملاحم والمغيّبات ومايأتي من الأزمنة، فهو يدخل تحت الأدب الوصفيّ التسجيلي غير أنّه يحتاج إلى بحث مستقل لعلّ الله سبحانه يوفّق إلى القيام به.

الأدب الوصفيّ البياني المفاهيميّ

لما فُسّر الوصف في المعاجم بأنّه الكشف والإظهار، فهو في عرفهم ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات[٧١].

والأدب الوصفيّ البياني المفاهيميّ هو الأدب الذي نتبيّن عن طريقه صورة للأشياء الموصوفة[٧٢].

هذا بنحو عام، أمّا المراد هنا فهو الوصف الذي يتبيّن بالإجابة عن الأسئلة المتنوّعة التي وجّهت للإمام (عليه السلام) فأبانها وقدّم في بعضها مفاهيم لا يستغني عنها أحد، فهو بيانيّ لأنّه يُبين ما أُبهم وما غمض، ومفاهيميّ لأنّه يعرض مفاهيم مهمّة ويعرّفها، وما من سؤالٍ وُجّه للإمام (عليه السلام) إلاّ أجاب عنه بأحسن ما يكون، ومن الأساليب التعليميّة المعلِّمة المتّبعة هذا اليوم في كثير من المراكز التعليميّة في أرجاء العالم إثارة السؤال من أجل إثارة التفكير ونضج الجواب وتوليد الأفكار.

ومساحة هذا الوصف في النهج كبيرة، بيد أنّي أكتفي بمقدار مناسب

لهذا البحث.

وصف الغيبة

تحدّث الإمام (عليه السلام) مرّةً في النهي عن سماع الغيبة، فقال في بعض كلامه: «أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلاَّ أَرْبَعُ أَصَابِعَ». فسُئل (عليه السلام) عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أُذُنه وعينه، ثمّ قال: «الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ؛ وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ: رَأَيْتُ!»(٧٣).

فهذا وصف فيه بيان لأمرٍ قلّما يسلم منه أحد من الناس، ويعلّم المجتمع التثبّت والتروّي عند سماع كلام عن أحد، فلا يعجل في الحكم على أحد، ولا يتّخذ موقفاً منه بمجرّد السماع؛ بل عليه أن يتثبّت ويتأكد من صحّة ماسمع. والدرس المستفاد من هذا الوصف- مضافاً إلى ما ذُكر- هو انتهاج الاتّئاد (التمهل والتأنّ) سبيلاً في التعامل مع الناس.

وصف محاسبة الناس يوم القيامة على كثرتهم

و سُئل (عليه السلام): كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم؟ فقال (عليه السلام): «كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ، فقيل: كيف يُحاسِبُهُم ولا يَرَوْنَهُ؟ فقال (عليه السلام): كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلاَ يَرَوْنَهُ»(٧٤).

يشبّه (عليه السلام) محاسبة الله سبحانه الخلق مع كثرتهم برزقهم في كثرتهم، وكذلك رؤيته تعالى، ففي وصفه بيان مقترن بالبرهان، وتمثيل أمر غيبيّ بأمر حسّيّ لينقل السمع إلى البصر فتتبيّن الحقيقة.

وصف العدل والجود

وسئل (عليه السلام): أيّهما أفضل: العدل، أو الجود؟ فقال (عليه السلام): «الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، والْجُودُ يُخْرِجُهَا عَنْ جِهَتِهَا، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا»(٧٥).

عـرّف (عليه السلام) العـدل بأنّـه وضـع الأُمـور مواضعهـا وأنّـه سـائس عـامّ في جميـع الأمـور الدينيّـة والدنيويّـة، وبـه نظـام العـالم وقـوام الوجـود كـما قـال ابـن أبي الحديـد في شرحـه[٧٦]. أمّـا الجـود فهـو بـذل المُقتَنيـات للغير، وهـو أمر عـارض خـاص ليـس عمـوم نفسـه كعمـوم نفـع العـدل[٧٧].

فهـذا بيـان لمفهومَـين محمودَيـن وموازنـة بينهـما. وثمـرة الوصـف هنـا هـو معرفـة معنـى العـدل ومعنـى الجـود، وسـبب تفضيـل العـدل عـلى الجـود.

وصف السائل بسؤال

وعلّـم (عليه السلام) سـائلاً كيـف يسـأل حـين سـأله عـن مسـألة، فقـال: «سَـلْ تَفَقُّهـاً، وَلاَ تَسْـأَلْ تَعَنُّتـاً، فَـإِنَّ الْجَاهِـلَ الْمُتَعَلِّـمَ شَـبِيهٌ بِالْعَـالِمِ، وَإِنَّ الْعَـالِمَ الْمُتَعَسِّـفَ شَـبِيهٌ بِالْجَاهِـلِ الْمُتَعَنِّـتِ»[٧٨].

فـرّق (عليه السلام) بـين السـائل الهـادف الـذي يسـأل مـن أجـل أن يفهـم ويتعلّـم، وبـين الآخـر الـذي يسـأل عـلى جهـة التلبيـس عـلى المسـؤول، وربّـما إيقاعـه في الزلـة، وأدلى (عليه السلام) دليلـه بتشـبيه الجاهـل المتعلّـم بالعـالم، والمتعنّـت بالجاهـل، وهـذا وصـف فيـه بيـان لكيفيّـة السـؤال، وتأديـب لمـن يُلقيـه، وتشـجيع عـلى التعلّـم و عـلى السـؤال القاصـد.

وصف ضلالة إحدى الدعوتين إذا اختلفتا

ووصـف (عليه السلام) ضلالـة إحـدى الدعوتـين إذا اختلفتـا، فقـال (عليه السلام): «مَـا اخْتَلَفَـتْ دَعْوَتَـانِ إِلاَّ كَانَـتْ إِحْدَاهُمَـا ضَلاَلَـةً»[٧٩]. فـانّ غـير ذلـك غـير معقـول، لاسـتحالة اجتـماع الضدَّيـن والنقيضَـين في العقـول[٨٠].

وصف العلم

وقَسّـم (عليه السلام) العِلـم قسـمَين، فقـال: «الْعِلْـمُ عِلْـمَانِ: مَطْبُـوعٌ وَمَسْـمُوعٌ، وَلاَ يَنْفَـعُ الْمَسْـمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُـنِ الْمَطْبُـوعُ»[٨١]. ومطبـوع العلـم: مارسـخ في النفـس

وظهر أثره في أعمالها؛ ومسموعه: منقوله و محفوظه. والأوّل هو العلم حقّاً[٨٢].

وبيّن (عليه السلام) أوضعَ العلم وأرفعه بقوله: «أَوْضَعُ الْعِلْمِ مَا وُقِفَ عَلَى اللِّسَانِ، وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ»[٨٣].

وهذا وصف يبيّن لنا أنّ العلم للعمل لا للعلم والترف، وإذا لم يكن كذلك فهو غير نافع للمجتمع.

وصف قيمة الإنسان

وَوَصَفَ قيمةَ الإنسان بأنّها تتجلّى بما يحسنه من عمل. فقال (عليه السلام): «قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ»[٨٤].

قال الرضيّ: وهي الكلمة التي لا تُصاب لها قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تقرن إليها كلمة.

وكلام الشريف الرضيّ (رحمه الله) يُغني عن التعليق على تلك الحكمة الثمينة، ورواها العسكريّ في (صناعتيه)، والجاحظ في (بيانه)، والحمويّ في (معجمه)، وابن عبد ربّه في (عقده)، وغيرهم[٨٥].

وصف العاقل و الجاهل

وقيل له (عليه السلام): صف لنا العاقل، فقال: «هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ،فَقِيلَ: صِفْ لَنَا الْجَاهِلَ، فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ»[٨٦].

قال الرضيّ (رحمه الله): يعني أنّ الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه، فكأنّ ترك صفته صفة له، إذ كان بخلاف وصف العاقل[٨٧].

وصف الفقيه الكامل

ووصف الفقيه الكامل، فقال (عليه السلام): «الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللهِ»[٨٨].

فهذا الفقيه هو الذي يشدّ الناس دائماً إلى الله سبحانه وتعالى، ويريد منهم أن يستحضروا علاقتهم به جلّ وعلا في كلّ وقت، فيبقى ثابتاً على خطّ الطاعة ويثبّت الآخرين عليه،

وهذا هو عطاء الوصف.

وصف القدر

وسئل (عليه السلام) عن القَدَر، فقال: «طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلاَ تَسْلُكُوهُ، وَبَحْرٌ عَمِيقٌ فَلاَ تَلِجُوهُ، وَسِرُّ اللهِ فَلاَ تَتَكَلَّفُوهُ»(٨٩).

هذا الوصف يرشدنا إلى أن نتجنّب مالا يتسنّى فهمه، ومايصعب استيعابه، ولا يوصلنا إلى النتيجة المطلوبة. وجاء في الخبر المرفوع: القدر سرّ الله في الأرض، ورُوِيَ: سرّ الله في عباده(٩٠).

وصف التوحيد والعدل

وسُئل عن التوحيد والعدل، فقال (عليه السلام): «التَّوْحِيدُ أَلاَّ تَتَوَهَّمَهُ، وَالْعَدْلُ أَلاَّ تَتَّهِمَهُ»(٩١).

يبيّن (عليه السلام) في كلامه هذا رُكنَين مهمّين من أركان الإسلام ومفهومين أساسيّين من مفاهيم الدين. فلا يحار الإنسان في معنَيهما، ويدرك أن التوحيد هو ألاّ تتوهّم ربّك جسماً أو صورةً أو في جهة مخصوصة... أو من جنس الأعراض التي تحلّ الحال أو تحلّ المحلّ، والعدل أن لا تتّهمه سبحانه وتعالى أنّه أجبرك على القبيح، ويعاقبك عليه... ولا تتّهمه في أنّه كلّفك ما لاتطيقه(٩٢).

وصف الأنصار

وقال (عليه السلام) في وصف الأنصار: «هُمْ وَاللهِ رَبَّوُا الْإِسْلاَمَ كَمَا يُرَبَّى الْفِلْوُ مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ وَأَلْسِنَتِهِمُ السِّلاَطِ»(٩٣).

يريد (عليه السلام) أنّهم أنموا الدين كما يُنمى المُهر ويُربَّى مع استغنائهم، وذلك بأيديهم السخيّة وألسنتهم الفصيحة.

هذا وصف يدلّ على تقويم منصف لفريقٍ من المسلمين كان له دوره المشهور في تأييد الدين وإظهاره والدفاع عنه.

وصف الغوغاء

وقال (عليه السلام) في صفة الغوغاء: «هُمُ

الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا، وقيل: بل قال (عليه السلام): هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا، فقيل: قد عرفنا مضرّة اجتماعهم، فما منفعة افتراقهم؟ فقال: يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمِهَنِ إِلَى مِهَنِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إِلَى بِنَائِهِ، وَالنَّسَّاجِ إِلَى مَنْسَجِهِ، وَالْخَبَّازِ إِلَى مَخْبَزِهِ»[٩٤].

يصف (عليه السلام) طائفةً من الناس وهم الأوباش الذين يجتمعون على غير ترتيب، ويذكرهم بكلام ليّن ليس فيه تقريع شديد لهم، ويبيّن محاسنهم ومساوئهم.

وصف الخير

وسُئل (عليه السلام) عن الخير ماهو؟ فقال (عليه السلام): «**لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ**»[٩٥].

هذا وصف لمفهوم الخير، وفيه بيان شاف لمعايير يجدر التمسّك بها، وهي: كثرةُ العلم، وعِظَم الحِلم، وعبادة ربّ العالمين جلّ وعلا، فلا يُلتَفت إلى معايير أهل الدنيا وأكثر الناس، وهي تتمثّل بكثرة المال والأولاد، فهو (عليه السلام) يقدّم لنا وصفةً علاجيّة مضادّة للأدواء الدنيويّة، ويريد منّا الاهتمام بها والمواظبة عليها حتّى نعيش برخاء بال واطمئنان نفس ووداعة روح.

وصف الإيمان

وسئل عن الإيمان، فقال (عليه السلام): «**الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ**»[٩٦].

وهذا وصف يعرّف الأمّةَ حقيقةَ الإيمان الواعي الذي يتجسّد في القول والعمل والظاهر والباطن، فلا يكفي انطواء القلب عليه، ولايكفي الاعتراف باللسان، بل لابدّ من العمل بالواجبات التي يفرضها الإيمان، فإذا عمل الإنسان بما قال،

وظهرت منه آية الإيمان المنطوي عليه قلبه فهو مؤمن كامل الإيمان.

وصف في معنى الحوقلة

وقال (عليه السلام) وقد سُئل عن معنى قولهم: لا حولَ ولا قوّة إلاّ الله: «إِنَّا لاَ نَمْلِكُ مَعَ اللهِ شَيْئاً، وَلاَ نَمْلِكُ إِلاَّ مَا مَلَّكَنَا، فَمَتَى مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا، وَمَتى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا»[٩٧].

معنى هذا الكلام أنّه (عليه السلام) جعل الحول عبارةً عن الملكيّة والتصرّف، وجعل القوّة عبارة عن التكليف، كأنّه يقول: لا تملّك ولا تصرّف إلاّ بالله، ولا تكليف لأمر من الأمور إلاّ بالله، فنحن لا نملك مع الله شيئاً، أي: لا نستقلّ بأن نملك شيئاً[٩٨].

وصف أشعر الشعراء

وسُئل: من أشعر الشعراء؟ فقال (عليه السلام): «إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلبةٍ تُعْرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا، فَإِنْ كَانَ وَلاَبُدَّ فَالْمَلِكُ الضِّلِّيلُ»[٩٩].

بيّن (عليه السلام) أن الشعراء لم يكن كلامهم في مقصد واحد، ولم يجروا على طريقة واحدة، بل لكلّ واحد منهم أُسلوبه وطريقته.

ثمّ وصف أشعرهم وهو امرؤ القيس بالملك الضلّيل لأنّه كان مشهوراً بفسقه و فجوره.

ويدلّ وصفه (عليه السلام) على مطالعته الوافية لأشعار الجاهليّة. وقد استشهد بها في بعض خطبه ورسائله، هذه أمثلة من الوصف البيانيّ المفاهيميّ. وهي كثيرة في النهج غير أنّ طبيعة البحث تقتضي ماذُكر، والحمد لله أوّلاً وآخراً.

نتيجة البحث

الأدب الوصفيّ في نهج البلاغة فنّ أدبيّ سامق وغرض اجتماعيّ تربويّ معطاء. وقد فاض النهج به وتعدّدت مواطنه فيه، وتميّز بقداسته لصدوره عن إمامٍ هو نفس النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وشموله لعالم الغيب مضافاً إلى عالم

الشهادة متفوّقاً على الأدب العربيّ الذي اقتصر معظمه على المحسوسات في عالم الطبيعة، وهذا ما تفرّد به أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) إذ استوعب وصفه الغيبيّات والمحسوسات، وتميّز الوصف أيضاً ببعده العمليّ البارز وهدفيَّته، وهذا سرّ سموّه إذ يرجح على غيره بثماره العمليّة ومعطياته الملموسة، وترفّع بأقسامه الأربعة: التعليميّة؛ والحِكَميّة؛ والتسجيليّة، والبيانيّة المفاهيميّة.

وتناول هذا البحث الأدب الوصفيّ الحكميّ والتسجيليّ مشفوعَين بالبيانيّ المفاهيميّ، أمّا التعليميّ فقد سبق الحديث عنه في دراسة مستقلة، وصفوة القول إنّ الأدب الوصفيّ في نهج البلاغة مدرسة للتربية والتعليم ينبغي أن يتوجّه إليها كلّ إنسان وينتهل من مناهلها العذبة فيتخرّج عنصراً صالحاً ينفع أُمّته.

الهوامش

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٣١.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٠.

٣. عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية: ١٣.

٤. يحيى الشاميّ، أروع ماقيل في الوصف: ٦.

٥. الشيخ محمد عبده، نهج البلاغة، ص ١٣٧، هامش ٣.

٦. نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٤.

٧. ايليا الحاوي، فنّ الوصف وتطوره في الشعر العربيّ: ٧.

٨. نهج البلاغة، الخطبة ٦٨.

٩. نهج البلاغة، الخطبة ٥؛ ١١٤؛ ١٩٠.

١٠. عبد الزهراء الحسينيّ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١: ٨٩-٩٩.

١١. أحمد الهاشميّ، جواهر الأدب: ٢٩٥-٢٩٦.

١٢. ابن منظور، لسان العرب ٩: ٣٥٦-٣٥٧. (وللوقوف على ماذكر قبل هذا الكلام، يُنظَر: المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٣٨٣؛ معجم مقاييس اللغة ٦: ١١٥؛ تهذيب اللغة ٩: ٣٥٨؛ أساس البلاغة: ٥٠١؛ القاموس المحيط ٣: ٢٩٥، تاج العروس ٢٤: ٤٥٩- ٤٦٢؛ الصحاح ٤: ١٤٣٨- ١٤٢٩؛ مجمع البحرين ٥: ١٢٨-١٢٩. ونظائرها من المعجمات).

١٣. أبو هلال العسكريّ، معجم الفروق اللغويّة: ٥٤٥.

١٤. ميشال عاصي، اميل بديع يعقوب، المعجم المفصّل في اللغة والأدب ٢: ١٣٠٦.

١٥. ميشال عاصي، اميل بديع يعقوب، المعجم المفصّل في اللغة والأدب ٢: ١٣٠٦- ١٣٠٧.

١٦. أحمد الهاشميّ، جواهر الأدب: ٢٦٥.

١٧. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربيّ ١: ٨١.

١٨. نجوى الرياحي القسنطيني، في نظرية الوصف الروائيّ: ٦١.

١٩. يحيى الشاميّ، أروع ما قيل في الوصف: ٥.

٢٠. جورج جرداق، روائع نهج البلاغة: ١٢.

٢١. جورج جرداق، روائع نهج البلاغة: ١٢.

٢٢. جورج جرداق، روائع نهج البلاغة: ١٣.

٢٣. ميشال عاصي، اميل بديع يعقوب، المعجم المفصّل في اللغة والأدب ٢: ٧٤٥.
٢٤. ميشال عاصي، اميل بديع يعقوب، المعجم المفصّل في اللغة والأدب ١: ٥٨٥.
٢٥. جورج جرداق، روائع نهج البلاغة: ١٢.
٢٦. عبد الزهراء الحسينيّ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١: ١٧٥-١٧٦.
٢٧. عبد الزهراء الحسينيّ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١: ١٧٤.
٢٨. نهج البلاغة، الكلام ٨٠.
٢٩. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.
٣٠. عبد الزهراء الحسينيّ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٣: ١٥٦.
٣١. جورج جرداق، روائع نهج البلاغة: ١٣.
٣٢. عبد الزهراء الحسينيّ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١: ١٧٧.
٣٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٧.
٣٤. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٧: ٢٠٢-٢٠٣.
٣٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.
٣٦. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١١: ١٥٣.
٣٧. نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٥.
٣٨. نهج البلاغة، الخطبة: ٨١.
٣٩. نهج البلاغة، الخطبة: ٢٠٢.
٤٠. نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٠.
٤١. نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٥.
٤٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣. (الصروم جمع صِرمة بالكسر، وهي قطعة من الإبل فوق العشرة إلى تسعة عشر.... العِشار جمع عُشَرَاء، وهي الناقة مضى لحملها عشرة أشهر... المراد أنّ يوم القيامة تُهمَل فيه نفائسُ الأموال لاشتغال كلّ شخص بنجاة نفسه. الشُم، جمع أشمّ، أي: رفيع. الشامخ: المتسامي في الارتفاع. الصُمّ، جمع أصمّ، وهو الصلب المُصمَت، أي: الذي لا تجويف فيه. والراسخ: الثابت. الصلد: الصلب الأملس. الرقرق: المضطرب. ومعهدها: المحلّ الذي كان يُعهَد وجودها فيها. القاع: ما أطمأنّ من الأرض. السَملَق: المستوي، أي: تُنسَف تلك الجبال، ويصير مكانها قاعاً صفصفاً، أي: مستوياً).(محمّد عبده، شرح نهج البلاغة ٢: ١٦٩- ١٧٠).
٤٣. محمّد مهدي شمس الدين، دراسات

في نهج البلاغة: ١٩٩- ٢٦١.
٤٤. محمّد مهدي شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة: ٢٣٦- ٢٣٧.
٤٥. ميشال عاصي، اميل بديع يعقوب، المعجم المفصّل في اللغة والأدب ٢: ٧٤٤ بتصرّف يسير.
٤٦. محمّد مهدي شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة: ١٦٨.
٤٧. نهج البلاغة، الخطبة: ٢٩.
٤٨. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢: ١٢٨.
٤٩. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢: ١٢٨- ١٢٩.
٥٠. نهج البلاغة، الخطبة: ٢٢٧.
٥١. محمّد عبده، شرح نهج البلاغة: ٢: ٢٢٢.
٥٢. نهج البلاغة، الكلام: ٤٤.
٥٣. نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٣.
٥٤. نهج البلاغة، الخطبة: ١٣.
٥٥. نهج البلاغة، الخطبة: ٢٣٦.
٥٦. صبحي الصالح، نهج البلاغة: ٦٢١.
٥٧. صبحي الصالح، نهج البلاغة: ٦٢٢.
٥٨. صبحي الصالح، نهج البلاغة: ٢٣٨.
٥٩. صبحي الصالح، نهج البلاغة: ٢٤٢.
٦٠. نهج البلاغة، الخطبة: ٢٧.
٦١. اطّلع اليمن: غَشيها بجيشه وغزاها و أغار عليها.
٦٢. سيُدالون منكم: سيغلبونكم وتكون لهم الدولة بدلكم.
٦٣. نهج البلاغة، الخطبة: ٢٥.
٦٤. نهج البلاغة، الخطبة: ٩١.
٦٥. محمّد تقي التستريّ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ٥: ٣٦٩.
٦٦. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٧: ٤٥.
٦٧. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٧: ٤٦.
٦٨. نهج البلاغة، الخطبة: ٥٨
٦٩. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٥: ٣؛ محمّد تقي التستريّ، بهج الصباغة ٥: ٤٦١.
٧٠. نهج البلاغة، الخطبة ٦٠.
٧١. سامي الدهان، الوصف: ٦٠.
٧٢. سامي الدهان، الوصف: ٦٠ (بتصرّ ف) .
٧٣. نهج البلاغة، الكلام: ١٤١.
٧٤. نهج البلاغة، الحكمة: ٣٠٠.
٧٥. نهج البلاغة، الحكمة: ٤٣٧.

٧٦. ابـن أبي الحديـد، شرح نهـج البلاغـة: ١٩: ٦٦.
٢٠: ٨٥.
٧٧. ابـن أبي الحديـد، شرح نهـج البلاغـة: ٢٠: ٨٥.
٧٨. نهج البلاغة، الحكمة: ٣٢٠.
٧٩. نهج البلاغة، الحكمة: ١٨٣.
٨٠. محمّـد تقـي التسـتريّ، بهـج الصباغـة: ٧: ٣٣٠.
٨١. نهج البلاغة، الحكمة: ٣٣٨.
٨٢. صبحي الصالح، نهج البلاغة: ٧٢٥.
٨٣. نهج البلاغة، الحكمة: ٩٢.
٨٤. نهج البلاغة، الحكمة: ٨١.
٨٥. محمّـد تقـي التسـتريّ، بهـج الصباغـة: ٧: ٣٧٩.
٨٦. نهج البلاغة، الحكمة ٢٣٥.
٨٧. ابـن أبي الحديـد، شرح نهـج البلاغـة: ١٩: ٦٦.
٨٨. نهج البلاغة، الحكمة: ٩٠.
٨٩. نهج البلاغة، الحكمة: ٢٨٧.
٩٠. ابـن أبي الحديـد، شرح نهـج البلاغـة: ١٩: ١٨١.
٩١. نهج البلاغة، الحكمة: ٤٧٠.
٩٢. ابـن أبي الحديـد، شرح نهـج البلاغـة: ٢٠: ٢٢٧- ٢٢٨.
٩٣. نهج البلاغة، الحكمة: ٤٦٥.
٩٤. نهج البلاغة، الحكمة: ١٩٩.
٩٥. نهج البلاغة، الحكمة: ٩٤.
٩٦. نهج البلاغة، الحكمة: ٢٢٧.
٩٧. نهج البلاغة، الحكمة: ٤٠٤.
٩٨. ابـن أبي الحديـد، شرح نهـج البلاغـة: ٢٠: ٦.
٩٩. نهج البلاغة، الحكمة: ٤٥٥.

أهمّ مصادر البحث

• نهج البلاغة .

• ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن محمد، شرح نهج البلاغة، ط ٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

• ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم؛ تحقيق: عبد الحميد هنداويّ، ط١، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

• ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة؛ تحقيق: عبد السلام هارون، قم: مركز النشر- مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

• ابن منظور، محمد بن مكرّم، لسان العرب، بيروت: دار صادر، بلا تاريخ.

• أبو هلال، العسكريّ، معجم الفروق اللغويّة، ط١، قم: مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٢هـ.

• الأزهريّ، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة؛ تحقيق: د. أحمد عبد الرحمن مخير، ط١، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

• التستريّ، الشيخ محمّد تقي، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ط١، طهران: دار أمير كبير للنشر، ١٤١٨- ١٩٨٧م.

• جورج جرداق، روائع نهج البلاغة، قم، مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

• الجوهريّ، اسماعيل بن حمّاد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطّار، ط ٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

• الحاويّ، ايليا، فنّ الوصف وتطوره في الشعر العربي؛ بيروت: دار الكتاب اللبناني؛ القاهرة: دار الكتاب المصري.

• الرياحيّ القسنطيني، د. نجوى، في نظرية الوصف الروائيّ؛ ط١، بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٨م.

• الزبيدي، محمّد مرتضى الحسينيّ، تاج العروس من جواهر القاموس؛ تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار إحياء التارث العربي، ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م.

• الزمخشريّ، محمود بن عمر جار الله؛ ربيع الأبرار، ط١، قم: منشورات الشريف الرضيّ، ١٤١٠هـ.

• الزمخشريّ، محمود بن عمر جار الله؛ أساس البلاغة؛ تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م.
• الشاميّ، د. يحيى، أروع ما قيل في الوصف؛ بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٤م.
• شمس الدين، محمّد مهدي، دراسات في نهج البلاغة ط ٢، بيروت، دار الزهراء، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
• الطريحيّ، مجمع البحرين؛ تحقيق: أحمد الحسينيّ، ط٢، طهران: نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفريّة، ١٣٦٥ ش.
• عاصي، ميشال، يعقوب، اميل بديع، المعجم المفصّل في اللغة والأدب، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.
• السيد عبد الزهراء الحسينيّ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ط٣، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.
• عبده، الشيخ محمّد، نهج البلاغة؛ بيروت: مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بلا تاريخ.
• فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربيّ؛ ط ٨، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٦م.
• الفيروزآباديّ، القاموس المحيط، ط١، بيروت: دار احياء التراث العربيّ، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.
• محفوظ، عبداللطيف، وظيفة الوصف في الرواية؛ ط١، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
• مطهري، مرتضى، في رحاب نهج البلاغة، ترجمة: هادي اليوسفيّ، ط٢، بيروت: دار التبليغ الإسلاميّ، ١٣٩٨هـ.
• ناصيف، اميل، أروع ماقيل في الوصف؛ ط ١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
• الهاشميّ، جواهر الأدب، ط ٢٩، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م.